المجلة العلمية للعلوم التربوية والصحة النفسية
ISSN: 2682-2865
The Online ISSN : 2682-4248
المجلد 02 / العـدد: 05 (ديسمبر2020)، ص ص125 - 142

معالم الفكر التربوي في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

Milestones of educational thought in the sociology of Emile Durkheim

ط د / الفتني صديقة[1] د/ علية سماح [2]
جامعة محمد خيضر بسكرة / الجزائر،

تاريخ الاستلام: 2020/10/13 تاريخ القبول: 2020/11/02

مستخلص البحث:

نهدف من خلال هذه الدراسة النظرية للوقوف على أهم الإسهامات التربوية لمؤسس علم اجتماع التربية "إميل دوركهايم"، وذلك لما له من مكانة مرموقة في حقل السوسيولوجيا، وما يطرحه من أفكار تربوية تشكل مرجعية علمية لمختلف العلماء والباحثين في مجال التربية والسوسيولوجيا على حد سواء.

وخلصت الدراسة إلى أن دوركهايم ساهم في إبراز الصبغة الاجتماعية لمختلف الظواهر التربوية، سواء من ناحية مبررات وجودها أو الغايات التي تهدف لها،كما ناقش الكثير من القضايا التربوية الشائكة ووضح بالتحليل والتفسير آليات وشروط معالجتها.

كلمات مفتاحية: التربية، المنهاج المدرسي، البيداغوجيا، التربية الأخلاقية، التربية الجنسية.

Abstract:

Through this theoretical study, we aim to find out the most important educational contributions of the founder of the sociology of education "Emile Durkheim", This is because of its prominent position in the field of sociology, And his educational ideas constitute a scientific reference for various scholars and researchers in the field of education and sociology alike.

The study concluded that Durkheim contributed to highlighting the social character of the various educational phenomena, whether in terms of the justifications for their existence or the goals that they aim for. He also discussed many thorny educational issues and explained through the analysis and interpretation the mechanisms and conditions for their treatment.

Keywords: Education; school curriculum; Pedagogy; Moral education; Sex education.

١.مقدمة:

شكلت أطروحات وجهود إميل دوركهايم في مجال السوسيولوجيا بشكل عام وفي مجال سوسيولوجيا التربية بشكل خاص أهمية كبيرة في مجال العلم والمعرفة، فقد مثلت أعماله القاعدة الحقيقية للكثير من الباحثين للانطلاق نحو البحث والتعمق بجدية في القضايا الاجتماعية والتربوية، خاصة بعدما نوه وأكد على اعتبار علم الاجتماع علما موضوعيا قائما بذاته بعد تحديده لقواعد المنهج في علم الاجتماع، إضافة إلى تفطنه وربطه للظاهرة التربوية بالسوسيولوجيا، حيث تعتبر محاولته هذه هي السباقة في مجال السوسيولوجيا، من خلال إضفاء الطابع السوسيولوجي على كل الظواهر والقضايا التربوية.

٢. مشكلة الدراسة:

تعتبر التربية من أهم الوسائل التي اعتمدت عليها الدول المتقدمة في تحقيق تطورها، فمن خلال التربية يمكن تنظيم المجتمع وكذا الاستثمار في أفراده وتنمية قدراتهم، ولا يكون هذا إلا من خلال الوقوف على إسهامات المنظرين في مجالي التربية والتعليم والاستفادة من كل ما قدموه بما يتوافق وخصوصية المجتمع.

ولا تزال الأفكار التربوية التي يطرحها إميل دوركهايم في مجال سوسيولوجيا التربية أفكارا ذات قيمة معرفية على الرغم من كلاسيكيتها، فالقضايا التي يعرضها والتفسيرات التي يقدمها والحلول التي يقترحها تشير لواقع اجتماعي تسعى كل دول العالم لبلوغه. وعليه تتلخص إشكالية دراستنا في التساؤل الرئيسي التالي: ما هي أبرز الإسهامات التربوية التي قدمها إميل دوركايم في مجال سوسيولوجيا التربية؟

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة التالية:

١- ما هي طبيعة التربية ومفهومها عند إميل دوركايم؟

٢- ما هي أهمية وأهداف المنهاج المدرسي عند إميل دوركايم؟

٣- ما علاقة التربية بالبيداغوجيا عند إميل دوركايم؟

٤- ما هي شروط التربية الأخلاقية في تصور إميل دوركايم؟

٥- ما هي آليات تحقيق التربية الجنسية عند إميل دوركايم؟

٣. أهداف الدراسة:

نحن نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف وهي كالتالي:

١- التعريف ببعض القضايا التربوية عند إميل دوركهايم.

٢- التعرف على مفهوم التربية وكذا أهداف وأهمية المنهاج المدرسي عند إميل دوركايم.

٣- التعرف على علاقة التربية بالبيداغوجيا عند إميل دوركهايم.

٤- التعرف على آليات تحقيق التربية الأخلاقية والتربية الجنسية وفق تصور إميل دوركهايم؟

وحتى نتمكن من الإجابة على أسئلة الدراسة اتبعنا الخطة التالية:

المحور الأول : التربية (تعريفها، خصائصها، وظائفها)

المحور الثاني : المنهاج المدرسي في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

المحور الثالث : البيداغوجيا في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

المحور الرابع : التربية الأخلاقية في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

المحور الخامس: التربية الجنسية في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

٣ .١ المحور الأول : التربية عند دوركهايم (تعريفها، خصائصها، وظائفها):

إن من بين خصائص العلم والمعرفة هو التراكمية فالمعرفة لم توجد من فراغ بل هي بناء للكثير من الجهود السابقة، وتمثل هذه الأخيرة منطلقات فكرية للوصول إلى ما هو جديد بالنسبة للمفكرين اللاحقين ويعتبر دوركهايم هو الآخر الذي بنى أفكاره ونظريته الاجتماعية بشكل عام والاجتماعية في التربية بشكل خاص وفقا لمرجعية فكرية لسابقيه بناءا على موقفه النقدي من الأفكار التربوية السابقة ومن هذا المنطلق فقد حدد دوركهايم تعريفا خاصا للتربية موضحا أهم خصائصها والوظائف التي تقدمها

٣. ١ .١ تعريف التربية:

يعرف إميل دوركهايم التربية على النحو الآتي:

" هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل الحياة الاجتماعية، وهي تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند الطفل وتنميتها، وهي الحالات التي يتطلبها المجتمع بوصفه كلا متكاملا والتي يقتضيها الوسط الاجتماعي الخاص الذي يعيش فيه الطفل، وهي عملية ذاتية واعية مسيطر عليها بواسطة أفراد في المجتمع. هؤلاء الأفراد من خلال ثقافتهم". (هشام

حسان، ٢٠٠٨، ٦٠) وبالتالي ينظر دوركهايم للتربية على أنها فعل اجتماعي يتم من خلاله نقل مجموعة من التعلمات من الأفراد الكبار - المعلمين - إلى الأفراد الصغار - المتعلمين - وذلك بهدف اكتشاف وتنمية أبعاد شخصية الفرد من النواحي العقلية والمتمثلة في الملكات والقدرات العقلية ومن الناحية الجسدية والجسمية ومن الناحية الروحية المتمثلة في غرس الأخلاق وترسيخها والمحافظة عليها، وهاته العملية - التربية - من شأنها أن تجعل الفرد يكون مستعدا للتكيف مع بيئته الاجتماعية على المستوى الفردي، ومن شأنها توفير ما يتطلبه المجتمع منهم على مستوى الجماعة.

٣. ١ .٢ خصائص التربية:

لقد قام إميل دوركهايم بتحديد الخصائص التي تتميز بها التربية والظاهرة التربوية، ويمكن حصرها في الآتي:

أ- واحدة ومتنوعة:

يرى دوركهايم أن أي حقيقة لا يمكن الكشف عنها إلا من خلال الوقوف على تطورها التاريخي، والعوامل الحتمية المتحكمة في تطورها، فهو يرى أن النظام التربوي الاجتماعي متعدد -في المجتمعات ذات التضامن العضوي - ويظهر ذلك من خلال وجود اختلاف في طبيعة التربية في المجتمع الواحد، كما يتجلى ذلك في اختلاف الثقافة وتباين الطبقات الاجتماعية، فمثلا تربية النبلاء ليست كالعامة وليست كتربية رجال الدين، وبهذا لا يمكن الإقرار بوجود تجانس مطلق بين الأفراد،كما أن التنوع في التربية يظهر كلما ازداد المجتمع تطورا حيث تظهر التخصصات العلمية وتتنوع.

في المقابل التربية المتجانسة والواحدة تظهر في المجتمعات الأولى ــ ذات التضامن الآلي ــ لكن وحسب دوركهايم رغم التنوع في التربية إلا أن ذلك لا يمنع من وجود مبادئ مشتركة وواحدة ينطلقون منها تبعا للعناصر الثقافية والدينية فالجوهر للجميع.(خالد أودينة ، ٢٠١٨، ٤٢)

ب- متغيرة ومتجددة:

لقد اعتبر دوركهايم التربية عملية ديناميكية متجددة ومتغيرة على الدوام فهي تختلف من عصر لآخر ومن مجتمع إلى آخر ، فالتربية تستجيب لضرورات الحياة الاجتماعية قبل أي شيء، وهذا ما يحدث حتى في المجتمعات التي تفتقر إلى الكفاءات العالية، وهي الكفاءات التي تتوزع بشكل متباين وفقا لتباين المجتمعات. ففي مدارس

العصر الوسيط لم تكن هناك أهمية للخصائص الجسدية في التربية لأن حالة الوسط الاجتماعي تكرس في الوعي الجمعي النزعة إلى التقشف، فتستبعد التربية الجسدية إلى الدرجة الثانية. ومع ذلك كان التقشف ضروريا، لأنه كان يمثل الطريقة الوحيدة للتكيف مع صعوبات الحياة في ذلك العصر. (هشام حسان، ٢٠٠٨، ٦٢) والمتتبع للصيرورة التاريخية ليلاحظ وجود اختلافات في شكل التربية وأنماطها ومحتواها وطرقها، فالتربية تتأثر بالظروف المحيطة بها والتغيرات الحاصلة، فكلما تغيرت الظروف في البيئة الاجتماعية وجب بالضرورة التغير في شكل التربية.

ج- الصفة الاجتماعية:

إن التربية عند دوركهايم لا تتحدد على مستوى الأفراد كما هو الحال عند القدامى، بل تتحدد على مستوى المجتمع من خلال الأفكار و العادات السائدة فيه، فالفرد موجه بواسطة العادات والتقاليد التي لا يمكن له أن يغيرها بمحض إرادته، إلا إذا قام بدراستها ومعرفة طبيعتها وشروط وجودها عن طريق الانصراف إلى التعلم والملاحظة، وفي هذا يقول: "أن التربية هي نتاج للحياة المشتركة".(خالد أودينة ، ٢٠١٨، ٤١).

فالتربية كظاهرة اجتماعية توجد في كل مجتمع وتتوافق مع خصوصيته ويصدق عليها تعريف الظاهرة الاجتماعية وخصائصها والموضحين سابقا. وقد اتخذ إميل دوركايم من الظاهرة التربوية مثالا لتأكيد صحة تعريفه للظاهرة الاجتماعية فيقول: "إننا نستطيع تأكيد صحة تعريفنا للظاهرة الاجتماعية بتجربة عظيمة الدلالة، إذ يكفي أن نقوم بملاحظة الطريقة التي تتبع في تربية الصغار.

د- الإلزامية والعمومية:

تتميز الظاهر التربوية بخاصية الإلزام والإجبار. فهي تفرض نفسها على أفراد المجتمع فرضا من خلال ممارساتهم وعاداتهم التي اكتسبوها من المجتمع، وتظهر لهم بشكل عادي، فلا مجال للحرية في التربية، فالوالدين لا يمكنهما تربية أبنائهم كما يشاؤون أو خارج عن ما هو متعارف عليه اجتماعيا، لأن هذا سينعكس سلبا على حياة الأطفال، ويظهر ذلك بعدم قدرتهم مستقبلا على التكيف مع أقرانهم ومع بيئتهم الاجتماعية، لأنهم ليسوا في وضعية تسمح لهم بتحقيق ذلك التكيف، هذا يعني أنه عندما نربي أطفالنا وفقا لأفكار قديمة أو سابقة للعصر فإنهم في الحالتين لا ينتمون إلى زمنهم، وبالنتيجة فإنهم لا يوجدون في إطار شروط حياة طبيعية. ففي كل لحظة من

الزمن يوجد نموذج منظم للتربية لا يمكن أن نستبعده دون مجابهات قوية تترتب عليها نتائج قاسية. (إميل دوركهايم ، ١٩٩٦، ٦١)

أما فيما يخص خاصيتها العمومية فهي تعني أنها موجودة في كل المجتمعات البشرية سواء بشكل رسمي ظاهر أو بشكل غير رسمي ضمني فلا يوجد مجتمع يخلو من التربية مهما تعددت واختلفت أشكالها

هـ- الشيئية:

تتميز الظاهرة التربوية بأنها شيئية موضوعية وكأنها أشياء جامدة خارج عن ذواتنا حيث يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة ويظهر هذا من خلال تربية الأطفال والتي قد يلاحظها الجميع.

و- التأثير والتأثر:

ترتبط الظاهرة التربوية بغيرها من الظواهر الاجتماعية وتتكامل فيما بينها، فهي لا تعمل في فراغ وإنما تربطها علاقات مع الظواهر الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية الأخرى، فتؤثر وتتأثر بها، كما أن لها علاقة وثيقة بالمجتمع فهي تعمل على إنتاج العلاقات الاجتماعية وتشكيل الوعي الاجتماعي،كما تعمل على نقل الثقافة.(حورية وسمراء، ٢٠١٦، ١٠٦)

وبالتالي فالتربية هي صناعة اجتماعية فهي وليدة المجتمع الذي هي فيه وفي نفس الوقت تعمل بدورها على إعادة إنتاج الثقافة المشتركة وتمريرها للأجيال القادمة.

٣. ١ .٣ وظائف التربية:

يفترض دوركهايم أن للتربية وظائف وأهداف مهمة بالنسبة للأفراد على المستوى الخاص وبالنسبة للمجتمع على المستوى العام، وجل وظائفها تنصب بالنسبة له في هدف عام فهي تعمل على حفظ الاستقرار وتحقيق التماسك الاجتماعي، ويكون ذلك من خلال الآتي:

أ- جعل الفرد كائن اجتماعي:

تعمل التربية إلى تحويل الفرد إلى شخص اجتماعي، فيتحول الفرد من حالته الفردية والشعور الكلي بالأنا، إلى ظهور الذات الاجتماعية ويحدث التغيير من أنا أشعر إلى نحن نشعر، فإن ممارسة هذه القيم يفترض على الفرد أن يمتلك القدرة على تحمل

المسؤولية والمشاركة في اتخاذ القرارات المناسبة، والتضامن والتآزر الاجتماعي مع أفراد المجتمع.(أبو الفتوح وحميدة، ٢٠١٦، ٣١)

ويوضح دوركهايم أيضا بوجود كائنين في داخل كل منا وهما كائنان لا يمكن الفصل بينهما إلا على نحو مجرد ويمثل أحد هذين الكائنين جملة الحالات الذهنية والعقلية التي لا تعبر إلا عن ذواتنا وعن أحداث حياتنا الفردية ومجرياتها، أما الكائن الثاني فيتمثل في نسق الأفكار والمشاعر والعادات التي تعبر عن شخصية الجماعة التي ننتمي إليها وهنا يتجلى دور التربية في بناء هذا الكائن الاجتماعي.(إميل دوركهايم ، ١٩٩٦،٦٩)

ب- نقل الثقافة والمحافظة عليها:

ويؤكد دوركهايم هنا أن الإنسان اجتماعي بطبعه، حيث أن يولد وهو لا يعرف العادات والتقاليد والقيم والمعايير وجل محتويات الثقافة المجتمعية ومجمل المهارات الاجتماعية ولابد له أن يتعلم هذه الأشياء التي تمكنه من الاندماج والعيش بشكل عادي في المجتمع ولا يكون ذلك إلا من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية والتي تعمل على نقل الثقافة ومبادئ الأخلاق إلى الأجيال القادمة.(أبو الفتوح وحميدة، ٢٠١٦، ٢٧).

ج- حفظ التجانس الاجتماعي:

يرى دوركهايم أن للتربية وظيفة هامة في تجانس المجتمع من خلال ما تقوم به من نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى جيل آخر، حيث يشير إلى أن المجتمع يستطيع البقاء فقط إذا وجد بين أعضائه درجة من التجانس، والتربية تدعم هذا التجانس، وذلك بغرسه في الطفل منذ بداية تلك التماثلات التي تحتاجها الحياة الجمعية، وأنه بدون هذه التماثلات الجوهرية يصبح من المستحيل وجود التعاون والتضامن الاجتماعي في المجتمع، بل يستحيل معها قيام الحياة الاجتماعية.

د- تحقيق الضبط الذاتي و الضبط الاجتماعي:

يشير دوركهايم إلى أن التربية تعمل على جعل الطفل يسيطر على رغباته وشهواته، فيضع قيودا عليها ويحدد من خلال هذه القيود الهدف من سلوكه، فوجود القيود في رأي دوركهايم هو شرط السعادة والصحة الأخلاقية ويصف قائلا أن الأفراد مزودون بالاستقلالية ولكنه نمط فريد يقوم على أن يفهم الطفل الأسباب التي تدعو إلى

فرض أشكال معينة من السلوك، وأن تتحول إلى أن تكون رغبة خاصة له، أي يقبلها طائعا مختارا، وأن اختياره قائم على الفهم.(هشام حسان ، ٢٠٠٨، ٦٤)

وبالتالي من خلال التربية وما تقدمه من قيم ومعايير ومبادئ من شأنها جعل الأفراد يتحكمون في سلوكياتهم وشهواتهم الداخلية أي تحقيق الضبط الذاتي، كما تعمل في نفس الوقت على عدم إظهارها و القيام بها في المجتمع كونها لا تتوافق مع المعايير الاجتماعية وهنا تظهر قدرة التربية في تحقيق الضبط الاجتماعي، ويتجلى ذلك بشكل واضح مثلا في التربية المدرسية، فباحترام الطفل لقواعد المدرسة فإنه يتعلم بذلك كيف يحترم القواعد العامة للمجتمع.

هـ- إكساب المهارات النوعية:

يرى دوركهايم أن التربية في المدرسة تكسب الأفراد المهارات النوعية الضرورية واللازمة للمهنة التي سوف يقومون بها في المستقبل، وهذه الوظيفة ضرورية في المجتمع الصناعي الذي يتميز بتزايد تقسيم العمل المعقد، أما في المجتمعات قبل الصناعية التي تتميز بتقسيم العمل فإن مثل هذه المهارات تنقل إلى الأفراد عن طريق الوالدين الأمر الذي لا يحتاج إلى شكل رسمي للتعليم.

٢.٣ ـ المنهاج المدرسي في سوسيولوجيا إميل دوركهايم:

ومن القضايا التربوية ذات الوحدات الميكروسكوبية التحليلية الصغرى التي اهتم بها إميل دوركايم ما يعرف بسوسيولوجيا المنهج والتي ظهرت في كتابه تطور المنهج في فرنسا، حيث تبرز بوضوح إسهامات هذا العالم في مجال علم اجتماع التربية، فقد اهتم دوركهايم بدراسة مشكلات التربية والتعليم في فرنسا لاسيما قضية المنهج، ونوعية المقررات الدراسية التي تعطى للتلاميذ والطلاب سواء في المدارس أو الجامعات.

وعالج دوركهايم من خلال اهتماماته بتحليل نوعية العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع والمقررات والتلاميذ، ونوعية المكاسب الفردية التي يحصل عليها التلاميذ من خلال دراسة المقررات والمناهج الدراسية، والبحث في نوعية الاستفادة بالنسبة للمجتمع من دراسة التلاميذ أو الطلاب لمقررات معينة.(حورية وسمراء، ٢٠١٦، ١٠٨).

وقد اهتم دوركهايم بصفة خاصة بالأطفال وطموحاتهم الشخصية التي يحاولون تحقيقها، لاسيما أن الفرد في المجتمع الحديث لديه الكثير من الطموحات

والرغبات والمطالب الشخصية التي يسعى لتحقيقها، بغض النظر عن صراعات الآخرين أو المجتمع، ومن ثم فإن نوعية المناهج والمقررات الدراسية التي توجد في المدارس كفيلة بإعادة توجيه هذه المتطلبات الفردية حتى تندمج مع متطلبات المجتمع بصورة ايجابية، إلا أنه انتقد دور الحكومة الفرنسية في تركيزها على المنهج التقليدي وتجاهل التطورات الحديثة التي طرأت على التدريس بصفة عامة.

ومن هذه المناهج القديمة منهج العلوم الكلاسيكية حيث سعى لعملية تقييم شاملة للنظام التعليمي الفرنسي من خلال تحليله لطبيعة ونوعية مناهجه وما يجب أن يستخدم في تدريس الكثير من العلوم الإنسانية والتاريخية القديمة والحديثة، ومدى تأثير مناهج بعض المواد الدراسية على التعليم الأخلاقي والثقافي والمهارات الفردية، واكتساب القيم الاجتماعية والدينية.... التي لا تتم إلا عن طريق المناهج والمقررات التعليمية.دون أن ننسى مدى اهتمامه بعملية تحويل المدارس من مجرد مدارس دينية لاهوتية إلى مدارس علمانية. هذا كدراسة لعملية التطور النظري والعلمي للتعليم من منظور سوسيوتاريخي.

كما ركز على دور المدرسين وأهمية مسؤولياتهم الوظيفية والأخلاقية في تحديد المناهج وتوجيه التلاميذ وكان من رأي دوركهايم أن التعليم في فرنسا يجب أن يوجه لدراسة المشاهير وأبطال التاريخ الفرنسيين حتى يتم خلق نوع من الولاء والتضحية والانتماء.(فطيمة وسميرة، ٢٠١٦، ٨٨) .

يرى دوركهايم أن المدرسة ليست مكانا للتربية الفكرية، بل مكانا لتحصيل العلوم من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية، فقد اهتم بالمدرسة الابتدائية والثانوية والذي ينحصر دورها في تعليم المواد الأدبية والفنون والرياضيات والعلوم الطبيعية، ويرى أن المعارف العلمية المحولة للتلاميذ تمثل العقل الإنساني في نشاطه أي أداة للثقافة المنطقية العقلية، لهذا وجب إعطاء التلاميذ شعورا أو إحساسا بالأشياء المركبة التي تمكنهم من تجاوز الشروحات البسيطة السهلة، كما يجب تشكيل عقليات تكد وتجتهد لضمان تطور العلوم الفيزيائية والبيولوجية، فالهدف هو تكوين جيد للتلاميذ يؤهلهم ليكونوا علماء بعقل تام ومحكم، فتعليم الفرد لا يعني أبدا ربطه بالكتابات الأدبية والفنية القديمة، رغم أن هذه الكتابات تعمل على تنمية الإحساس الذي لا يمكن فصله بين الإنسانية جمعاء.(ميمونة وأم الخير، ٢٠١٤،٧٧).

كما ناقش دوركهايم أهمية دور الدولة في تحديد أيديولوجيتها، وضرورة حرصها على التخطيط العلمي وتسيير المدارس والإشراف عليها، بما في ذلك تخطيط وتحديد محتوى المناهج والمقررات الدراسية، وجاء هذا الاهتمام من خلال إيمان دوركهايم بالدور التنظيمي أو المؤسساتي للدولة.(حورية وسمراء، ٢٠١٦، ١٠٩).

٣.٣ البيداغوجيا في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

٣ .٣ .١ - تعريف البيداغوجيا:

يشدد دوركهايم على أنه يجب التفريق بين التربية والبيداغوجيا. فالتربية يعتبرها كفعل شامل ومستمر، يكون تأثيرها على الفرد من طرف الآباء أو المعلمين في كل لحظة من لحظات الحياة الاجتماعية، ولا ينحصر هذا التأثير التربوي في اللحظات القصيرة التي يتواصل فيها الآباء والمعلمون بالأجيال الصاعدة تواصلا واعيا بواسطة التعليم، أو بنقل تجربتهم لهذه الأجيال، بينما هناك تربية غير واعية يمكن أن تتم بواسطة تكييف نفوس الأطفال بصورة مستمرة، من خلال المثال والنموذج بواسطة الحديث الذي يتلفظ به الآباء والمربون وبواسطة الأفعال التي ينجزونها.(إميل دوركهايم ، ١٩٩٦، ٩٣).

أما البيداغوجيا فيرى دوركهايم أنها لا تتعلق بالأفعال والتأثيرات بل بالنظريات، وهذه النظريات هي أشكال تصور التربية وليس طرائق تطبيقها وممارستها، فالتربية ما هي إلا مادة البيداغوجيا، بينما هذه الأخيرة تهتم بالتفكير في أشياء التربية، الشيء الذي جعلها متقطعة عبر الزمن على خلاف التربية، وهذا راجع في نظره إلى أن الإنسان كان لا يفكر دائما إلا إذا كان واجبا عليه أن يفكر، وأن شروط التفكير كانت غير متاحة.

إن النظريات البيداغوجية حسب دوركهايم لا تتبع نفس الهدف ولا تستعمل نفس الطرائق، فهي لا تهتم بما كان أو بما سيكون، بل تهتم بما يجب أن يكون، فهي إذن موجهة نحو المستقبل لتحدد مبادئ سلوك الأفراد وما يجب أن يفعلوه، كما يضيف أن البيداغوجيا ليست هي التربية وليس دورها بديلا عن ممارسة التربية، بل وظيفتها تكمن في توجيهها وتنويرها ومساعدتها إذا اقتضى الأمر لسد الثغرات الناتجة، ومعالجة أوجه القصور المستخلصة، ويرى أن البيداغوجيا من صنف النظريات العملية

التي تهتم بالطرائق المستعملة لتقدير ما ينبغي أن يكون، بحيث لا تهتم بدراسة الأنظمة التربوية، بل تقوم بالتفكير في كيفية توفير الأفكار التي توجه عمل المربي.

٣ . ٣ . ٢ التفكير البيداغوجي:

يرى دوركهايم أن المربي من واجبه الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الفردية لكل طفل وتنميتها، وذلك عن طريق الوسائل المتاحة مع تنويع الأساليب، بدلا من تطبيق طريقة ثابتة وموحدة على الجميع.

ولتمكين المربي من استيعاب هذه الممارسات التربوية مع خصوصيات كل فرد، يجب معرفة ما هي ميولات كل طفل؟ وما هي الطرائق الممكن استعمالها؟ وهذه الأسئلة سماها التفكير البيداغوجي، بحيث يصبح المربي يرد الاعتبار للأساليب التي يستعملها، ولأهدافها وغاياتها، كما يصبح قادرا على تغيير هذه الأساليب إذا تغيرت الأهداف، وهو بذلك يحدد خصائص التفكير البيداغوجي في الآتي:

أ- لكي يتمكن التفكير البيداغوجي من إنتاج آثار صالحة يجب أن يخضع للثقافة المناسبة، ولهذا لا يمكن للبيداغوجيا بناء نظام تربوي إن لم يكن موجودا من قبل، ولكنها تمكن من فهم ومعرفة هذا النظام في وقته، ولفهمه لا يكفي معرفته كما هو اليوم، لأنه نتاج التاريخ والتاريخ هو الوحيد الذي يمكن أن يشرحه. (إميل دوركهايم ، ١٩٩٦، ١٠١)

ب- ويرى دوركهايم أن النظام التربوي لا يعمل فقط على الممارسات والطرائق الموروثة عن الماضي، بل يعمل أيضا على التوجهات والتصورات المستقبلية، وهذه التصورات ينبغي معرفتها جيدا لتحديد موقعها في التعليم.(إميل دوركهايم ،١١٠، ١٩٩٦)

ج- إطلاع المربي على سيكولوجيا المتعلم: ولتحقيق هذه الغايات يجب على المربي أن يكون ملما بسيكولوجيا المتعلم، فلوعي المتعلم قوانين خاصة يجب معرفتها، وذلك من أجل القدرة على تعديلها، كما أن توجيه أنشطة الطفل يتطلب معرفة الينابيع المتحركة وطبيعتها، فالسيكولوجيا علم يساعد المربي على معرفة عقول وخصائص الأطفال المتعلمين. (إميل دوركهايم ، ١٩٩٦،١١١) .

٣ .٤ التربية الأخلاقية في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

٣. ٤ .١ تعريف الأخلاق:

يرى دوركهايم بأن الأخلاق هي مجموعة من الضوابط الإلزامية في التصرف، وهي أيضا الرغبة في القيام بما نعتقد أنه الخير. وقد قام بتوضيح ذلك من خلال تعبيره عن النزوات الفطرية الإنسانية والحاجة لكبحها بواسطة الأخلاق العامة.

يجب أن لا نستغرب اهتمام دوركهايم الشديد باستبطان الأخلاق الاجتماعية من خلال التنشئة والتربية، فالأخلاق الاجتماعية توجد أساسا على المستوى الثقافي لكنها تستبطن بواسطة الفرد. وكما قال دوركهايم إن الأخلاق**"تخترقنا" و "تكون جزءا منا"**، وفي الأساس لم يكن دوركهايم مهتما بموضوع الاستبطان لكنه كان مهتما بعلاقته بالمشاكل الثقافية والبنيوية في زمنه. ولم يحدد كيف أن الأخلاق تستبطن وكان مهتما أكثر بما يؤدي إلى تدني قوة استبطان الأخلاق في المجتمع المعاصر.

إن جوهر الموضوع بالنسبة لدوركهايم كان التدني في درجة التقييد الآلي الذي تمارسه الحقائق الاجتماعية على وعي الفرد، خاصة وأن المجتمع الغربي حسب رأي دوركهايم يمر بأزمات كبرى، وتلك الأزمات عبارة عن تحلل السلطة الأخلاقية في حياة الأفراد.

أما على المستوى العام جدا كان دوركهايم مهتما بالطرق التي تقيد بها الأخلاق الناس خارجيا وداخليا فهي تشكل أفكارهم وأفعالهم وهي تمارس نوعا من الصعود فوق الإرادة التي تحس أنها مقيدة بإتباعها.(سماح وجهيدة، ٢٠١٦، ٥٧ - ٥٨)

٣ .٤ .٢ شروط التربية الأخلاقية:

يرى إميل دوركايم أن من صفات الأطفال النفسية صفة الميل للمحافظة والروتين وصفة القابلية للإيحاء وهما نقطتي يصح الارتكاز عليهما في تعليم الطفل قواعد الأخلاق.

أ- ففي صفة الميل للمحافظة والتعود ومالها من سلطان على حياة الطفل يرى دوركهايم أن الطفل يتميز بالمحافظة والروتين إلى حد الهوس، فهو يريد كوبه وملعقته في الموضع نفسه ويريد رؤية نفس الأشخاص ونفس الصور، ويسمع نفس القصص دون ملل.....ويرى أن علينا أن نستغل هذه الصفة ـ الميل للمحافظة ـ وذلك من خلال أن نعوده على الأخذ بعادات منتظمة في كل ما يتصل بالشؤون العامة في حياته، وبذلك

تكون الخطوة الأولى في تدريب الطفل على الحياة الخلقية، وهذه الخاصية تعتبر الثغرة التي ننفذ من خلالها إلى نفسية الطفل فنوصل إليها العناصر الحقيقة للأخلاق، لكنها تترسخ وتمارس بصفة آلية فقط.

ب ـ أما في صفة القابلية للإيحاء فإن دوركهايم يرى أنه يجب أن يقتنع الطفل بأن القوى الأخلاقية من الواجب احترامها، والتي تجعل الإرادة تميل إليها تلقائيا وتتجه نحوها وليس اكتسابها بصفة آلية فقط، كما لا يكون ذلك بتأثير القهر المادي وفرضها من طرف الأسرة والكبار، بل من خلال استغلال ما فيه من قابلية للإيحاء، فدوركهايم يشبه الطفل بالشخص المنوم مغناطيسيا الذي يكون في حالة سلبية تامة، فإرادته مشلولة وذهنه خال كالصفحة البيضاء ولا يرى ولا يسمع إلا ما يقوله المنوم، وفي هذه الحالة تستقر الفكرة الموحى بها إليه وتسيطر عليه دون مقاومة وتجره للقيام بالنشاط الذي يضمن لها أن تتحقق.

والطفل هو الآخر كذلك صفحة بيضاء وفي حالة سلبية، فقير في تصوراته ومحدود في ميوله، فكل فكرة تدخل في هذا المحيط العقلي الرقيق لا تقابل فيه إلا مقاومة ضئيلة، وهذا ما يفسر ميول الطفل نحو المحاكاة والتقليد. وبذلك نستطيع أن نعود الطفل في وقت مبكر على كبح النفس والاعتدال وأن هناك دائما حدودا لا ينبغي تجاوزها.(إميل دوركهايم ،٢٠١٥، ١٣٢ - ١٣٦)

يرى إميل دوركهايم أن للنظام المدرسي أهمية كبيرة من الناحية الأخلاقية وفائدته في طبع الطفل على احترام القاعدة العامة المجردة، وتعويده على التحكم في نفسه والسيطرة عليها، لأن الحياة العامة تتطلب ذلك، وما المدرسة إلا صورة مصغر من المجتمع الكبير لها صفة الرسمية والتنظيم، فالطفل حين يحترم القواعد المدرسية يتدرب على احترام القواعد بوجه عام، وهذا يتوقف على ما تتميز عليه من موقف حازم، فإذا خلت المدرسة والفصل الدراسي من النظام ظهرت عليه أعراض الانحطاط الأخلاقي، وإذا شعر الأطفال بعدم وجود قوة تحدهم اندفعوا في حالة هيجان نحو التحرر، وسرعان ما ينعكس ذلك حتى خارج حياتهم المدرسية، فالنظام والقواعد المدرسية تضفي نوعا من الصحة والانشراح فتحدد للتلاميذ ما ينبغي تركه وما ينبغي عمله، لكن يرى دوركهايم أن هناك طائفة من الأفعال التي تخضع للحرية والخيار للتلاميذ لا دخل للتقدير الأخلاقي فيها فلا يصح أن يكون لمشيتهم ووقفتهم وجلوسهم وفي

طريقة إمساك كتبهم....خضوع لنوع من التحديد كذلك.(إميل دوركهايم ، ٢٠١٥، ١٤٥ ـ ١٤٩)

يؤكد دوركهايم على دور المعلم في ترسيخ القواعد الأخلاقية للتلاميذ، وذلك بشرط أن تكون له قدرة على الإقناع والتأثير، فينتقل الاحترام للأخلاق من المعلم إلى تلاميذه عن طريق الأقوال والحركات إلى ضمير الطفل فينطبع فيه، وعلى المعلم أن يبرز الأخلاق في طابعها اللا شخصي فهي ليست من جهوده الشخصية بل يظهرها على أنها سلطة أخلاقية تسمو عليه وهو يعبر عنها ولا يخلقها وتفرض عليه كما تفرض عليهم وتلزمه كما تلزمهم. ويتوجب على المعلم أن يمتلك الإرادة والقدرة على أن يفرض هيمنته كي يرسخ ويؤسس القيم المرغوبة عند تلامذته، فالمعلم يوظف سلطته في توليد شعور الواجب لدى طلابه، والمعلم الذي لا يفرض سلطته الأخلاقية يفقد أهليته للتربية في عيون طلابه فسلطة المعلم تشكل البوتقة التي يتشكل فيها الطفل أخلاقيا وإنسانيا، وعندما يستطيع المعلم أن يحظى باحترام تلامذته وتقديرهم يمكنه أن يغدو نموذجا أخلاقيا يحتذى به. (إميل دوركهايم ، ٢٠١٥، ١٥٠ – ١٥١)

يرى دوركايم أنه ينبغي تعليم الأخلاق على أن لها قيمة في حد ذاتها وليس لارتباطها بقدسية الحياة الدينية، فهو يدعو إلى تغيير الذهنيات عما كانت عليه قديما وتفسير الأخلاق تفسيرا عقليا، ويرى أن من الواجب أن نكشف عن هذه القوى الأخلاقية التي لم يستطع الناس حتى الآن تصويرها إلا في صورة رموز دينية، وبالتالي يرى أنه من الواجب إظهارها في حقيقتها العقلية العارية إن صح هذا التعبير، وأن نجد الوسيلة لإشعار الطفل بحقيقتها دون الرجوع إلى أي وسيط ديني، هذا هو ما يجب أن نهتم به أولا إذا كنا نرغب في أن تعطينا التربية الأخلاقية كل ما ننتظره منها من نتائج بالرغم من إخضاعها لحكمة العقل.(إميل دوركهايم ، ٢٠١٥، ١٣ - ١٤) وفي هذه الجزئية يؤكد دوركايم ويلح على ضرورة تدريس الأخلاق بعيدا عن ارتباطها بالحياة الدينية كون أن الأخلاق سامية في حد ذاتها وعلينا أن نمررها لأطفالنا على أنها كذلك من خلال الحجج المنطقية والعقلية خاصة في ظل تعدد الديانات والمبادئ التي تدعوا إليها، فإذا تقبلنا المبادئ لاعتبارها فقط مرتبطة بالدين فقد ألغينا العقل ولربما أصبحنا نسلم بأشياء تجعل منا في كفة الجاهلين.

يؤكد إميل دوركهايم على ضرورة وجود عقوبات مدرسية لمنع التجاوزات الأخلاقية، لأن التجاوزات التي لا تتخذ في وجهها عقوبات وإجراءات ردعية سيشجع إلى مهاجمتها وتجاوزها مرة أخرى إن لم تشجع الجميع على ذلك، فتجاوز القواعد الأخلاقية دون عقاب سيضعف من هيبة ومكانة الأخلاق بالنسبة للتلاميذ وسيقل احترامهم نحوها، فعلى المعلم أن يكون مستعدا ليعاقب كل من يقوم بتجاوز القواعد المدرسية عقابا يتناسب ونوع الخطأ.(إميل دوركهايم ، ٢٠١٥، ١٦١)

٣ . ٥ التربية الجنسية في سوسيولوجيا إميل دوركهايم

قدم إميل دوركهايم في ٢٨ **فبراير** ١٩١١م عرضا عن برنامج حول التربية الجنسية تقدم به في السنة السابقة الطبيب الشهير "جاك أميدي دوليريس" عضو أكاديمية الطب وزميل لويس باستور، كان برنامجا تعليميا حول المسائل الجنسية في المدارس، اقترح أن يعهد به المعلمين والأطباء ودار في ذلك النقاش أفكارا كثيرة حول الضوابط التي يجب مراعاتها فيما يخص هذا النوع من التعليم، والمحتويات التي يجب إن يتضمنها، وجملة التبريرات التي قدمت لتبرير هذا المنحى، ومن أهم الأفكار التي طرحها دوركهايم بهذا الخصوص تتمثل في الآتي:

أولا- أكد دوركهايم في كلمته التي ألقاها أمام اللجنة التي أكد أمامها الطبيب دوليريس على ضرورة تعليم التربية الجنسية، أن كل مجتمع من المجتمعات إلا وقد شهد هذا النوع من التربية الجنسية وما يتعلق بالاحتياطات المتعلقة بذلك.

ثانيا- أكد على ضرورة إقناع الشباب بأن الزواج هو الوضع القانوني الصحيح، وأن العلاقات غير الشرعية أمر غير أخلاقي وضار، لكنه يصر على عدم تناول هذه القضية من خلال تعليم الصحة الجنسية بل من خلال اللجوء إلى المعارف العلمية بنوع من التحفظ والحيطة. (نور الدين، ٢٠١٦، ٦٩ - ٧٠)

ثالثا- ويؤكد على أن الهدف من التربية الجنسية هو أن نغرس في أطفالنا شعورا يجعلهم بمنأى عن الخطأ عند تعليم التربية الجنسية، وكما يؤكد أن الأديان لقنت هذا الشعور بطرق نعرفها ونحن بحاجة لاستخدام طرق أخرى.

رابعا- يؤكد دوركهايم على أنه بالرغم من غموض الفعل الجنسي إلا انه لا يوجد أمتن منه لتوثيق الروابط بين البشر فهو يتوفر على قوة الجمع، ويؤكد أيضا على أن التربية الجنسية لا تنجح ولا تحقق أهدافها إذا لم تفهم على أنها تشعر الشاب بالطابع الأصلي

لهذا الفعل الفريد، لذلك لا يجب تبسيط هذا الفعل عند تعليمه للشباب حتى لا نشوهه، فهناك تداعيات أخلاقية إذا تم تعليم ذلك على أنه مجرد مظهر من مظاهر الوظيفة البيولوجية، مثل تلك التي تتعلق بالهضم والحركة.(نور الدين،٢٠١٦، ٧٢،٧٣).

خامسا- ويؤكد أيضا على أن الفعل الجنسي له خصوصية وغير اعتيادي، والسبب المثير للقلق والغامض حوله يتأتى من طبيعته فهو في جانبه له أساس أخلاقي وأساس غير أخلاقي، فالأساس الأخلاقي يكمن في الاحترام الذي يكنه الإنسان للإنسان وتبعا لهذا الاحترام نحتفظ بمسافة بنظائرنا فلا نسمح بهذه العلاقات الحميمية، ويظهر الحرج الأخلاقي في مواجهة اثنين مطلقين بعضهما لبعض فندرك ما هو غير اعتيادي في هذا الموقف من شخصين أصبحا يشعران بأنهما غريبين بالرغم من أنه كانت لا أسرار بينهما وكانا شخصية واحدة.

سادسا- ويرى بأنه يتعين علينا البدء في شرح مبررات الزواج حتى نظهر كيف يرتبط بجميع ما لدينا من أخلاق عائلية، وبالمقابل يشير كيف أننا من هذا المنطلق فإننا نعتبر تجارة الجنس والعلاقات خارج إطار الزواج تخريب لمنظومتنا العائلية، كما أنها تسيء للحس الأخلاقي فاستعمال إنسان كأداة لإمتاع إنسان آخر أمر يتعارض مع كرامة الإنسان (نور الدين، ٢٠١٦، ٧٥ - ٧٦).

خاتمة:

ومن خلال العرض السابق نخلص إلى أن دوركهايم قد استعان بنظريته الوظيفية في ربط علم الاجتماع بالتربية، خاصة بعد اعتباره للظاهرة التربوية ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى والتي تختلف بدورها عن الظواهر النفسية، وقد أزاح عنها الغبار عما كان يشوبها من أفكار فلسفية مثالية سابقة، وقد بين أهميتها الكبيرة بالنسبة للفرد والمجتمع، كما فسر في ضوء نظريته السوسيولوجية العديد من القضايا التربوية الهامة والمعاصرة، وتناولها بالشرح والتحليل، ويمكن أن نوجز أهم ما قدمه في النقاط التالية:

- وضح أهمية التربية في ربط جميع أنساق المجتمع الفرعية وتكاملها من خلال التأثير والتأثر الحاصل بينها، ما يجعل من التربية وسيلة لتحقيق الوحدة والتجانس والاستقرار الاجتماعي.

- اعتبر المنهاج المدرسي وسيلة المدرسة في نقل الثقافة والعلوم للمتعلمين، وعليه فمحتوى المناهج تحدده السياسة التربوية الخاضعة بدورها للنظام الاجتماعي في أي مجتمع.
- أكد على أهمية التربية الجنسية مع الأخذ بعين الاعتبار طابعها الفريد، الذي يجعل منها موضوعا خاصا يحتاج بدوره إلى تعليم وتعامل خاص.
- أكد على أهمية التربية الأخلاقية سواء في الأسرة أو المدرسة ودورها في مواجهة الانحلال الأخلاقي الذي يسود المجتمع.
- أكد على دور البيداغوجيا في العملية التعليمية، من خلال تفعيل نظرياتها في اكتشاف احتياجات المتعلمين وإشباعها، ما يسمح بتحقيق نتائج تعليمية أفضل.

توصيات: في ضوء النتائج المقدمة نقدم بعض التوصيات:

- ضرورة الاستفادة من شروط التربية الأخلاقية التي يطرحها إميل دوركهايم طالما هي لا تتناقض مع خصوصية مجتمعاتنا الإسلامية.
- نظرا لضرورة البيداغوجيا في العملية التعليمية يتوجب تكوين المعلمين وفق ما يمليه ويتطلبه التفكير البيداغوجي للتعامل مع المتعلمين.
- ضرورة الاهتمام بموضوع التربية الجنسية بما يتوافق مع خصوصية مجتمعاتنا من جهة، ويحمي أبناءنا من الوقوع في المحرمات من جهة أخرى.

قائمة المراجع:

١- أبو الفتوح أبو هريرة وحميدة جرو، **الوظيفة الاجتماعية للمنهاج التربوي من منظور دوركهايم**، مجلة دفاتر المخبر، العدد ١٦، ٢٠١٦.

٢- إميل دوركهايم: ترجمة بدوي محمد، **التربية الأخلاقية**، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٥.

٣- إميل دوركهايم: ترجمة وطفة علي أسعد، **التربية والمجتمع**، ط٥، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٦.

٤- حمدي علي أحمد: مقدمة في علم اجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٣.

٥- حورية علي شريف وسمراء دحماني، **الوظيفة النقدية للتربية والعملية التعليمية وفق المدخل السوسيولوجي التربوي لدوركهايم**، مجلة دفاتر المخبر، العدد ١٦، .٢٠١٦
٦- خالد أودينة، **مكانة التربية في سوسيولوجيا دوركهايم** ـ دراسة إبستيمولوجية تحليلية ـ، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٥، العدد ٢٦، .٢٠١٨
٧- سماح علية وجهيدة شاوش إخوان، **الظاهرة الأخلاقية عند دوركايم**، مجلة دفاتر المخبر، العدد ١٦، .٢٠١٦
٨- فطيمة دبراسو وسميرة ونجن، **سوسولوجيا المنهج عند إميل دوركهايم**، مجلة دفاتر المخبر، العدد ١٦، .٢٠١٦
٩- ميمونة مناصرية وأم الخير بدوي، **دور الأطر الاجتماعية في تشكيل المضامين المعرفية المدرسية**، مجلة العلوم الانسانية، العدد الثالث والثلاثون،٢٠١٤.
١٠- نور الدين زمام، **قراءة في مقال دوركهايم نقاش حول التربية الجنسية**، مجلة دفاتر المخبر، العدد ١٦، ٢٠١٦.
١١- هشام حسان: **مدخل إلى علم الاجتماع التربوي**، دون دار النشر، مصر، ٢٠٠٨.